مجلة الآداب و الحضارة الإسلامية ISSN: 1112-4628, EISSN: 2588-2449
مجلد : 13. عدد 27. السنة :2021

مظاهر التناص التاريخي في الخطاب الشعري لدى مفدي زكريا –إلياذة الجزائر أنموذجا–

Aspects of historical intertextuality in the poetic discourse of Mufdi Zakaria - Ilyadat al djazair as a model -

الدكتورة شميسة خلوي*

[1] جامعة الجزائر2 (الجزائر)، soumicha.khaloui@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/07 تاريخ القبول: 2021/11/15 تاريخ النشر: 30/12/. 2021

ملخص:

يعدُّ النصُّ في النَّقد العربي الحديث محور العملية النَّقدية ومنطلقها، بحيث تُتَّخذ من بنيته مجالا للبحث والتحليل، ومن آفاق التلقي المختلفة الكشف عن الخطابات المتعدِّدة في الخطاب الواحد (التَّناص) الذي يبين التَّداخل والتَّقاطع بين النُّصوص، على مستويات مختلفة، الدينية والأدبية والتاريخية والتراثية وغيرها.

ومن خلال هذه الورقة البحثية نروم كشف بعض مظاهر التناص التاريخي في الخطاب الشعري لمفدي زكريا عبر إلياذته التي سافر ذكرها الآفاق، بمختلف تجلياته، سواء ما تعلق بالشخصيات أو الأزمة أو الأحداث ذات الطابع التاريخي، حيث ألفينا الشاعر وقد أحاط بالتاريخ وتمكن من استحضاره أدبيا.

كلمات مفتاحية: التناص، الشعر، التاريخ، مفدي زكريا، الإلياذة.

Abstract:

The text in modern criticism is the focus of the critical process, and one of the prospects for receiving is the disclosure of discourses in a single discourse (intertextuality), which shows the overlap between texts, at different levels, religious, literary, historical, and others. And we aim to reveal the manifestations of historical intertextuality in Mufdi Zakaria's Iliad, where we found it encompassing history and was able to evoke it literary.

Keywords: intertextuality; poetry; history; Mufdi Zakaria; Iliad

*الدكتورة شميسة خلوي

1. مقدمة:

لقد تعرَّضت أمتنا العربية والإسلامية للاستعمار الغربي المباشر، وعانت من ويلاته سنين عديدة، عادت بالخراب على البلاد والعباد، والجزائر من البلدان التي رزحت تحت نير الاستعمار الفرنسي أكثر من (130) سنة، سعت من خلالها فرنسا جاهدة لإبادة الشعب الجزائري ومحو مقوِّمات شخصيته العربية الإسلامية بشتى الطرق، وبكل الوسائل المتاحة لها.

وتعد اللغة من أهم مقومات الأمم، وهي التي تنتج ثقافة الأمة، فاللغة هي أقدم تجليات الهوية، ولهذا كان القلم أحد طرق المواجهة الثقافية ضد فرنسا، كشفا لجرائمها، ومخططاتها، وتخليدا لمآثر الثورة وتعزيزا لقيم أول نوفمبر.

من جهة أخرى، يعتبر الشعر من المصادر التي تؤرخ الحدث وتسجله للأجيال، ولا نعدم تلك العلاقة الوطيدة بين التاريخ والأدب عموما، «فقد كان التاريخ ولا يزال منهلا عذبا يمنح الشعر منحا وهو معين فريد لا ينضب أبدا، لأنه ترجمان الحياة الإنسانية وسجل الأمة في منشطها ومكرهها»[1]، والحديث عن التناص التاريخي في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر هو حديث عن النتاج الأدبي لأدباء جيل الثورة من أمثال محمد الأمين العمودي (ت: 1957م) ومفدي زكريا (ت: 1977م) ومحمد العيد آل خليفة (ت: 1979م) وأحمد سحنون (ت: 2003م) وأبو القاسم خمار، وجيل الاستقلال كأحمد شنة وعز الدين ميهوبي، وغيرهم من أدبائنا، حيث اعتبر الموروث التاريخي مادة خصبة ومصدرا أساسيا من مصادر تجاربهم الشعرية.

إنها الرسالة المقدسة على حد تعبير شاعرنا الفذ مفدي زكريا:

رِسَالَة اَلشِّعْرِ فِي اَلدُّنْيَا مُقَدَّسَةٌ * * * لَوْلَا اَلنُّبُوءَةُ كَانَ اَلشِّعْرُ قُرْآنَا [2]

ومما تقدم، سنفرد هذه الصفحات للكشف عن مختلف التناصات التاريخية التي حفلت بها نصوص شاعر الثورة مفدي زكريا الشعرية ولا سيما الإلياذة، مبتدئين العمل بترجمة موجزة للشاعر فتعريف بالإلياذة ويليه العمل التطبيقي.

---

[1] محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، جمعية التراث، العطف، غرداية، الجزائر، 1987م، 219.

[2] مفدي زكريا، اللهب المقدس، موفم للنشر، 290.

2. مفدي زكريا وإلياذته

1.2 ترجمة مفدي زكريا:

هو[1]: مفدي زكريا بن سليمان آل الشيخ شاعر الثورة الجزائرية ومدوِّن أحداثها وشاعر المغرب العربي، ولد في واحة بني ميزاب بقرية بني يسجن بالجزائر سنة 1908م، تلقى علومه في عنابة وتونس، وسرعان ما أصبح واحداً من أكبر شعراء الجزائر، وقد وظّف جلّ شعره للقضية الجزائرية والعربية.

في شعره إبداع في الصوغ امتاز به على أكثر أقرانه، نظم الشعر في أثناء الدراسة، وعندما كانت الجزائر تغلي وتتحفز، وقادة الحركة الوطنية يوقدون روح الثورة فيها، ضرب مفدي على وتيرتهم، فكان شاعر الوطنية والمناسبات الخطيرة، وأعلنت الثورة (أول نوفمبر 1954) فكان شاعرها، وطار صيته واشتهر شعره.

أدخل السجن خمس مرات إلى أن فرَّ منه عام 1959م، لينضم إلى حزب جبهة التحرير الوطني خارج الجزائر، إذ رحل إلى تونس والمغرب واتصل بحكامهما ومدحهم، توفي شاعرنا بتونس العام 1977م.

يعتبر مفدي زكرياء صاحب نشيد الثورة الجزائرية الذي صار فيما بعد النشيد الرسمي للدولة (قسما) ومن أهم مؤلفاته أيضا: ديوان (اللهب المقدس) الذي صدر عام 1961م، عن المكتب التجاري في بيروت، وتعد قصيدة (إلياذة الجزائر) من أهم القصائد الوطنية التي أبدعها هذا الشاعر الذي قرع صيته الأسماع، وتقع في نحو ألف بيت، وله أيضاً ديوان (من وحي الأطلس)، الذي طبع بالرباط عام 1976م، و(أمجادنا تتكلم) الذي نشر بالجزائر عام 1973م، كما اشتهر بأناشيده الوطنية المعروفة: (من جبالنا طلع صوت الأحرار) الذي ألّفه عام 1932م، و(اعصفي يا رياح)، (فداء الجزائر روحي ومالي) الذي ألّفه عام 1936م.

وبالحديث عن الإلياذة محل اشتغالنا أن نقول: إنها امتداد وتواصل لتاريخ الجزائر القديم والحديث، تلك أهم ميزة طبعت هذا العمل الأدبي التاريخي، باعتبارها ملحمة اختصرت أهم محطات تاريخ الجزائر، بطلها هو الشعب بمباركة الرب.

زمن الإلياذة يمتد من فجر التاريخ البشري إلى نهاية سبعينيات القرن العشرين، تحت سماء الجزائر.

---

[1] تنظر ترجمته: عادل نويهض معجم أعلام الجزائر –من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر– ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1980م، 307–308، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، تكملة معجم المؤلفين، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1997م، 590/588.

وتتخذ الإلياذة –كما سبق ذكره– من الجزائر التيمة الرئيسة لها، بتاريخها القديم والحديث، ووصف لطبيعتها وعمرانها، وقد أخذ المنحى التاريخي الجزء الأكبر من مقاطعها.

ومن ناحية البنية الشعرية المقطعية، فإن الإلياذة تتكون من (100) مقطع، وكل مقطع يتكون من (10) أبيات، كان يختمها بلازمة أشهر من نار على علم:

شَغَلَنَا اَلْوَرَى وَمَلَأْنَا اَلدُّنَا

بِشَعْرٍ نُرَتِّلُهُ كَالصَّلَاةِ

تَسَابِيحهَ مِنْ حَنَايَا اَلْجَزَائِرِ[1]

بحيث سجلنا (15) مقطعا يتحدث فيه مفدي زكريا عن تاريخ الجزائر القديم، و(16) مقطعا يتناول فيه المقاومة الجزائرية، و(15) مقطعا أفرده لمرحلة الثورة المسلحة لغاية الاستقلال، بينما نجده قد خصص (19) مقطعا لطبيعة الجزائر وعمرانها، و(35) مقطعا لثورة البناء بعد الاستقلال.

يقول الراحل مولود قاسم نايت بلقاسم واصفا إلياذة الجزائر بأنها: «أجمل وأكمل صياغة لتاريخها بآلامها وآمالها، بانتكاساتها وانتصاراتها، كما هي وظيفة التاريخ لأية أمة من الأمم إذ هو عقلها (...) وليس هذا من باب التغني بالماضي والاكتفاء بما تركه لنا الأجداد، بقدر ما هو عملية إبراز الأسس الأصيلة للبناء عليها في انطلاقتنا الجديدة»[2]، وهي شهادة تجعل من الإلياذة رمزا من رموز التاريخ والأدب معا.

3. التناص (سؤال المصطلح)

1.3 التناص في النقد الغربي:

إنه لمن الصعب تمثل مفهوم موحَّد للتناص في الخطاب النقدي الغربي لأن أصوله متعددة الاتجاهات، لذلك فدلالة التناص تتغير من باحث إلى آخر، غير أن المتفق عليه هو كون بذرة التناص الأولى قام بوضعها ميخائيل باختين Mikhail Bakhtin (ت: 1975م) حين روَّج لمصطلحه الجديد (الحوارية / dialogism) والذي يدل على التشابه الحاصل بين تعبير ماثل وتعابير أخرى مشابهة، بحيث «يدخل

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، مؤسسة مفدي زكريا، 2006م.

[2] المرجع السابق، 32-33.

فعلان لفظيان، تعبيران اثنان، في نوع خاص من العلاقة الدلالية، ندعوها نحن علاقة حوارية، والعلاقات الحوارية هي علاقات (دلالية) بين جميع التعبيرات التي تقع ضمن دائرة التواصل اللفظي»[1].

والواقع أن الباحثة البلغارية جوليا كريستيفا Julia Kristeva (ت:1941م) هي أولى من اعتمدت مصطلح التناص، وذلك استنادا إلى الإرث النظري الذي تركه باختين، وقد ظهر المصطلح في أبحاث لهذه الناقدة بين عامي (1966-1967) في مجلتي: "Telquel" و"critique" ثم أعادت نشرها في كتب مستقلة، وتنطلق كريستيفا في بسط رؤيتها حول التناص من كون النص «ترحالا للنصوص وتداخلا نصيا»[2].

أما التحول النوعي الذي مرَّ به التناص فقد أتى على يد الناقد الفرنسي جيرار جينيات Gérard Genette (ت: 2018م) الذي وسَّع هذا المفهوم النقدي من خلال أبحاثه، تحديدا في كتابه (أطراس / palimpsestes) حيث درس التعالي النصي الذي قال إنه «كل ما يضع النص في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى»[3]، وعليه فالنص هو تركيب من نصوص غائبة أخرى.

ففي البداية نجد هذا الباحث قد ركز على معمار النص (l'architexte)، حيث يعرف هذا المفهوم على أنه «علاقة النص بمعماره»[4]، ثم عدل جينيت عن فكرة معمار النص العام 1982م، واستبدله بمصطلح التعاليات النصية (transtextualité)أو التعالي النصي للنص، وهو ما يجعل نصا معينا يتداخل

---

[1] تزفيتان تودوروف، المبدأ الحواري: دراسة في فكر ميخائيل باختين، ترجمة: فخري صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1992م، 82.

[2] Kristéva , Julia , Sémiotike , recherche pour une semanalyse , Edition du Seuil , Paris , 1969,52.

[3] المختار حسني، نظرية التناص، مجلة علامات في النقد، مج 9، ج 34، ،1999م، 235.

[4] Genette , Gérard, Introduction De l'architexte, collection poetique , Edition du Seuil , Paris , 1976, 88.

مع نصوص أخرى بصفة مباشرة أو ضمنية، ثم يقترح جيرار جينيت خمسة أنماط من المتعاليات النصية هي[1]: التناص، المناص، الميتناص، النص اللاحق و معمارية النص.

ومن ثم فإن النقد الغربي حاول المحافظة على ميزة أساسية في نظرية التناص وهي أن عملية إنتاج النص إنما تتم في إطار من التعاون بين مرسل النص ومستقبله، أو بصيغة أخرى بين النصوص الغائبة باعتبارها الأدوات الأساسية للإنتاج مع النص المماثل.

2.3 التناص في النقد العربي القديم والحديث:

ولم يبق التناص وما دار حوله رهين الثقافة الغربية التي تشكل وتطور فيها، بل دخل الثقافة العربية المعاصرة ووجد له مكانا مميزا في النقد العربي المعاصر، ونشير إلى أن المترجمين العرب المعاصرين لم يتفقوا على تعريب المصطلح بلفظ مشترك، فبعضهم يعرّبه (التناص) وآخرون (التناصّية)، وفريق ثالث بـ (النصوصية)، ورابع بـ(تداخل النصوص)، ومع ذلك فإن المصطلح الأول (التناص) هو الذي شاع وانتشر.

ولعل من أهم الدراسات التي تناولته هي التي قام بها الدكتور محمد مفتاح تنظيرا و إنجازا في العديد من مؤلفاته أهمها "إستراتيجية التناص" و"دينامية النص"، فمحمد مفتاح يعتبر التناص على أنه «تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة»[2]، هذا النص الذي ما هو إلا «إعادة بناء لأقوال جاءته من مناح متعددة»[3]، فالتناص من وجهة نظر مفتاح عمل فني هادف جاء نتيجة تحكم المبدع في تقنيات الكتابة المختلفة.

---

[1] ينظر: سعيد يقطين، إنفتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 96 – 97.

[2] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري – إستراتيجية التناص– المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 1999م، 121.

[3] محمد مفتاح، دينامية النص، تنظير وإنجاز المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 1999 م ، 152.

ومن النقاد العرب المحدثين الذين تداولوا مصطلح التناص نجد "سعيد يقطين" في مؤلفه "انفتاح النص الروائي"، والذي تناوله باسم "التفاعل النصي" لأنه أعم في نظره من التناص، واعتمادا على جهود جيرار جينيت قدّم تصوره الخاص[1]، فالتناص من منظوره يخلق وجوده في النص.

وأخيرا، ليس علينا أن نغفل الإشارة للمفاهيم التي تتقاطع مع نظرية التناص في تراثنا العربي القديم، فالمتتبع لمسار النقد لا يمكن له أن ينكر أثر هذا الخطاب التراثي العربي في مختلف أنماط الخطاب النقدي المعاصر باختلاف اتجاهاته ومشاربه، ولا أثر التفاعل بينهما مع بروز الخصائص المميزة لكل ثقافة على حدة، في هذا الإطار يمكننا رصد نظرية التناص برؤية مشتركة بين الامتداد الثقافي العربي من جهة، والخطاب النقدي الغربي الحديث من جهة أخرى.

لقد تعددت المفاهيم والمصطلحات النقدية التي أطرت نظرية التناص في التراث النقدي العربي القديم، لكنها لا تخرج عن إطار "السرقات الأدبية" فهي تشكل نواة لنظرية تناصية حداثية، بيد أنها لم تجتمع في إطار تنظيري موحد كما هو الحال في نظرية التناص رغم حظوتها باهتمام النقاد العرب القدامى الذين استفاضوا في الحديث عنها وفي تعداد أنواعها[2].

ومهما اختلفت آراء النقاد العرب القدامى، فإن النقد العربي القديم نظر للسرقات الأدبية على أنها «استقصاء المعاني و ردها إلى أصولها لوجود أدنى تشابه»[3]، مهما كان مصدرها سواء أكان من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو من أشعار العرب و كلامهم، و بالتالي كان هدف هؤلاء النقاد هو

---

[1] ينظر: سعيد يقطين، إنفتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 98 – 101.

[2] أهم من تطرق لمسألة السرقات في النقد العربي القديم: ابن الأثير في: المثل السائر، المظفر العلوي في: نضرة الإغريض في نصرة القريض، ابن رشيق القيرواني في: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، والقاضي الجرجاني في: الوساطة بين المتنبي وخصومه، والآمدي في: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، وأبو هلال العسكري في: الصناعتين، وغيرهم.

[3] محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي، 1958م، 239.

«البحث عن الأصول و عن المصدر الأول للنص الأدبي (...) وليس باعتبار النص الأدبي فسيفساء من النصوص فيما بينها»[1]، وهذا هو الاختلاف الجوهري.

4. التناص التاريخي في الإلياذة (دراسة تطبيقية لنماذج مختارة)

لقد اعتبرت الإلياذة سجلا مختصرا للتاريخ الجزائري والعربي والإسلامي عموما لما احتوته من إشارات صريحة وأخرى ضمنية تسوق القارئ إلى عوالم التاريخ بشخصياته وأمكنته وأزمنته، وعليه سنقوم بدراسة تطبيقية إحصائية تحليلية لمجمل ما ورد في الإلياذة من تناصات تاريخية، والتي سنقسمها إلى ثلاثة أقسام، التناص التاريخي المتعلق بالشخصيات ودلالاتها، التناص التاريخي المتعلق بالأزمنة المرتبطة بالأحداث ودلالاتها، وأخيرا التناص التاريخي المتعلق بالأمكنة ودلالاتها، ونشير إلى أن المعلومات التاريخية استقيناها من مجموعة من المصادر التاريخية التي تحدثت عن تاريخ الجزائر القديم والحديث[2]، على شاكلة: تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي، وتاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله، و تاريخ الجزائر في القديم والحديث لمبارك الميلي، وغيرها.

1.4. التناص التاريخي المتعلق بالشخصيات ودلالاتها:

طريقة عملنا في الجانب التطبيقي هي رصد نماذج مختلفة من التناصات التاريخية المعبرة عن الشخصيات، ونختار منها شخصية لنحلل طريقة توظيفها من قبل شاعرنا مفدي زكريا، وعليه جاء الجدول الأول على النحو الموالي:

الجدول رقم (01)، نماذج من التناصات التاريخية (الشخصيات)

الشخصية التاريخية	دلالتها التاريخية	أرقام الأبيات في الإلياذة
هاروت	ملك مرسل	12
المتنبي	شاعر عباسي، توفي: (354هـ/965م)	41
هامان	كبير وزراء فرعون	43

[1] أنور المرتجي، سيميائية النص الأدبي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1987م، 59.

[2] العناوين مثبتة في قائمة المصادر والمراجع آخر البحث.

بيجار	مارسيل بيجار (ت:2010م) Bigeard marcel عسكري فرنسي برتبة جنرال، اقترن اسمه بالممارسات الوحشية أثناء الثورة التحريرية	48
سوستال	جاك سوستال (ت:1990م) Jacques Soustelle صاحب مشروع سوستال الذي يدافع عن الجزائر فرنسية	48
الأمير خالد	الأمير خالد بن الهاشمي حفيد الأمير عبد القادر	420-418
ابن باديس	عبد الحميد بن باديس من أهم من رجال الإصلاح في الوطن العربي، مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (ت: 1358هـ/1940م)	-454-437-434 750-723
البشير الإبراهيمي	رفيق ونائب ابن باديس في رئاسة جمعية العلماء المسلمين، مصلح أديب نحرير (ت: 1306هـ/1889م)	434
بربروس	خير الدين بربروس، أحد رموز الجهاد البحري في الأسطول العثماني	333-216

المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على الإلياذة

من خلال الجدول المعروض حاولنا بسط مجموعة من الشخصيات التاريخية التي وظفها مفدي زكريا في إلياذته، وهي متنوعة بين رجال برزوا في الشعر والسياسة والحُكم، ونقف عند قول شاعرنا واصفا الجزائر:

وَيَا بَابِلِ اَلسِّحْرِ ، مِنْ وَحْيِهَا * * * تلَقَّب هَارُوتُ بِالسَّاحِرِ [1]

لقد ذكر اسم "هاروت" في القرآن الكريم في موضع واحد فقط، حيث يقول عز وجل في محكم تنزيله: «وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ **هَارُوتَ** وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (103)» (البقرة: 102-103)

هاروت[2] شخصية تاريخية حقيقية، يحدثنا الله عز وجل في كتابه أنها من الملائكة، أرسله الله لتعليم أناس وقاء لهم من شر معين، وقد اتبع اليهود السحر الذي أُنزل على الملَكين هاروت وماروت؛ امتحانا وابتلاء من الله لعباده، فكانا يعلمانهم السحر لبيان حقيقته للناس وفي نفس الوقت ينصحونهم على أنه كفر وحرام.

ولعل عامل الرمز هنا يشتغل بكفاءة حين وظف مفدي زكريا شخصية من عالم الملائكة قد هبطت إلى أرض الدنيا، والتي طالما اقترنت بالسحر هذا الشيء غير المألوف الذي يقلب الموازين بقدرة من الله ومشيئته، للدلالة على روعة جمال وطنه، فمن وحي جمال الجزائر غدا هاروت ساحرا، إذن، فلجوء مفدي زكريا إلى رمزية الملائكي البشري المتجسدة في هاروت، تمنح بلد الجزائر جمالا آسرا يختلف عن كل ما رأته العين.

2.4. التناص التاريخي المتعلق بالأزمنة المرتبطة بالأحداث ودلالاتها:

بنفس الطريقة السابقة، نحاول رصد مختلف التناصات التاريخية المعبرة عن الأزمنة المرتبطة بالأحداث، ونختار منها حدثا زمنيا كنموذج:

الجدول رقم (02)، نما*ج من التناصات التاريخية (الأحداث)

---

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، مؤسسة مفدي زكريا، 2006م، 40.

[2] أبو الفداء ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999م، 344/1، وما بعدها، عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ -2000م، 61، وما بعدها.

الزمن التاريخي	دلالته التاريخية	أرقام الأبيات في الإلياذة
17 أكتوبر 1961	مجزرة باريس في حق المتظاهرين السلمين من الجزائريين، ورميهم في نهر السين	603
20 أوت 1955	هجوم الشمال القسنطيني وردة فعل فرنسا الانتقامية	532
1957	إضراب الثمانية أيام التاريخي	581
08 ماي 1945	مظاهرات ومجازر 8 ماي 1945 التي عمَّت معظم أرجاء الجزائر	481-471
1848-1830 (18سنة)	مدة مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري للاحتلال الفرنسي	366

المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على الإلياذة

من خلال الجدول المعروض حاولنا بسط مجموعة من الأحداث التاريخية التي وظفها مفدي زكريا في إلياذته، وكلها متعلقة بمقاومة فرنسا من بداية الاحتلال والثورات الشعبية إلى ثورة نوفمبر التحريرية، ونقف عند قوله واصفا مجزرة 08 ماي 1945م:

وَلَمْ نَنْسَ فِي أَرْبَعِينَ وَخَمْس * * * ضَحَايَا اَلْمَذَابِحِ فِي يَوْمِ نَحْسِ
طَرَبِنَا مَعَ اَلْخُلَفَاءِ اِغْتِرَارًا * * * وَقُمْنَا نُصَفِّقُ فِي غَيْرِ عُرْسٍ
فَكَانُوا مَعَ اَلْغَدْرِ عَوْنًا عَلَيْنَا * * * وَدَرَسَا لِقَادَتِنَا أَيُّ دَرْسٍ[1]

لقد وظف مفدي زكريا أحداث الثامن ماي الدامية توظيفا مزدوجا، ثباتا لوحشية الاستدمار الفرنسي من جهة، واستلهم العبرة منها من جهة أخرى.

ولعل العبرة التي يرمي إليها الشاعر في توظيفه لهذا الحدث التاريخي إضافة إلى تخليد الشهداء –كما ذكرنا– هو ما يستخلصه أي شخص واع مستشرف للمستقبل، وذلك بأن «نتحلى دائما باليقظة وأن

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، مؤسسة مفدي زكريا، 2006م، 86.

نتعرف على أنفسنا وعلى مواطن الضعف فينا ونتعرف على عدونا ومواطن القوة فيه والحياة كلها كفاح وشعب يتوقف عن الكفاح هو شعب ضائع»[1].

3.4. التناص التاريخي المتعلق بالأمكنة المرتبطة بالأحداث ودلالاتها:

ننتقل رصد مختلف التناصات التاريخية المعبرة عن الأزمنة المرتبطة بالأحداث، وننتقي منها حدثا زمنيا لنرى كيف وظفه الشاعر في منجزه الشعري المتميز:

الجدول رقم (03)، نماذج من التناصات التاريخية (الأمكنة)

المكان التاريخي	دلالته التاريخية	أرقام الأبيات في الإلياذة
جرجرة	سلسلة جبلية تقع شمال الجزائر بين ولايات تيزي وزو والبويرة وبجاية، كانت حصنا من حصون المجاهدين	44
أوراس	سلسلة جبلية تقع شمال شرق الجزائر، بين ولايات باتنة وخنشلة وأم البواقي وتبسة، تعد رمزا لاندلا ع الثورة	56
القصبة	قصبة مدينة الجزائر التي بنيت من طرف الأمير بولوغين بن زيري الصنهاجي	47
باب الوادي	من الأحياء الشعبية القديمة التي شهدت ما يسمى بـ (حصار باب الوادي) إحدى معارك الثورة التحريرية، أفريل 1962م	46

المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على الإلياذة

من خلال الجدول نلفي مجموعة من الأماكن التاريخية التي أخذت مكانا لها في الإلياذة، من مناطق جزائرية مختلفة، ونقف عند قول مفدي زكريا واصفا جبال الأوراس الجزائر:

[1] محمد قنانش، المسيرة الوطنية وأحداث 08 ماي 1945، منشورات دحلب، الجزائر، 53.

وَتَسْمُو بَأَوْرَاسَ أَمْجَادُهُ * * * فَتَصدَع فِي اَلْكَوْنِ هَذَا اَلْوَرَى [1]

لقد أضحى الأوراس رمزا مكانيا ذا مدلول نفسي من صورته الطبيعية إلى صورته المعنوية، فهو رمز للتحدي والصمود ومقاومة الاحتلال الفرنسي، ذكره يقترن باندلا ع الثورة وببطولات المجاهدين وتضحياتهم بالنفس والنفيس.

على أن نشير أن رمز الأوراس، نال حيزاً كبيراً في المتن الشعري الجزائري والعربي معا، وكان ولا يزال دوما رمزا للبطولة والجهاد والكفاح أمام الآخر المحتل، ثم «إن استحضار الشاعر العربي للماضي الأوراسي الحا لم عقدا شعريا ثمينا مشرقا متألقا معلقا على صدر القصيدة الثورية في الواقع العربي المظلم المثقل بالخيبات والنكسات هو تعويض نفسي رمزي لهذا النقص الرهيب الذي استولى على نفسية العربي المهزوم»[2]، وهكذا استطاع مفدي زكريا أن يكون من أوائل الشعراء الذين أحالوا الأوراس أيقونة خالدة في التاريخ الجمعي للجزائريين والعرب.

5. خاتمة:

إن توظيف شاعرنا للموروث التاريخي الجزائري العربي والإسلامي له دلالات كثيرة، لعل من أهمها:

- إحاطته بالتاريخ وتمكنه من استحضاره أدبيا.
- كما يدل أيضا على نجاح الخط العربي الإسلامي لغة وتاريخا، والذي كان عاملا من العوامل التي بفضلها دوَّلت القضية الجزائرية وعرفت، ولا سيما بين الأقطار العربية الإسلامية التي تدين بنفس الدين وتتحدث نفس اللغة.
- وقد نجح مفدي زكريا في ايصال صوت الجزائر المحتلة للمتلقي بقلمه النابض حبا للجزائر، ونحن نراه قد صهر الأحداث بزمانها ومكانها وشخصياتها في البنية العامة للنص الشعري، مبرزا رؤيته الثاقبة لما يدور حوله مستشرفا المستقبل.

---

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، مؤسسة مفدي زكريا، 2006م، 44.

[2] يوسف وغليسي، سيميائية الأوراس في القصيدة العربية المعاصرة، الملتقى الدولي الخامس "السيمياء والنص الأدبي" 15-17 نوفمبر 2008م، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 91.

– إن النماذج التي اخترناها تعبر عن المنحى التاريخي للإلياذة، ويمكن رصد كل النماذج في بحث مطوَّل وتكون نتائجه أعمق.

6. قائمة المراجع:

المؤلفات:

- أبو الفداء ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999م.
- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع– الجزائر، 2007م.
- أنور المرتجي، سيميائية النص الأدبي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1987م
- تزفيتان تودوروف، المبدأ الحواري: دراسة في فكر ميخائيل باختين، ترجمة: فخري صالح، دار الشؤون الثقافيه العامة، ط1، 1992م
- سعيد يقطين، إنفتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان،
- عادل نويهض معجم أعلام الجزائِر –من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر– ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، 1400هـ - 1980م.
- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ودار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1384هـ/1965م.
- عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ -2000م.
- مبارك بن محمد الميلي الجزائري، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم: محمد الميلي، المؤسسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر، 1406هـ - 1986م.

- مجيد قري، مسار الرمز وتطوره في الشعر الجزائري الحديث، رسالة دكتوراه (مخطوطة) جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009-2010م.
- محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1420 هـ / 1999م.
- محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، تكملة معجم المؤلفين، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1418هـ- 1997م.
- محمد قنانش، المسيرة الوطنية وأحداث 08 ماي 1945، منشورات دحلب، الجزائر.
- محمد مفتاح، دينامية النص، تنظير وإنجاز المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 1999م
- محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، جمعية التراث، العطف، غرداية، الجزائر، 1987م.
- مفدي زكريا، اللهب المقدس، موفم للنشر، الجزائر.
- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، مؤسسة مفدي زكريا، 2012م.
- نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- نسيمة زمالي، قراءة في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا – الجانب الاجتماعي والفني وتحليل قصائد وفق المقاربات النصية المعاصرة– دار الهدى.

Genette , Gérard, Introduction De l'architexte, collection poetique , Edition du Seuil , Paris , 1976

- Kristéva , Julia , Sémiotike , recherche pour une semanalyse , Edition du Seuil , Paris , 1969

المداخلات

- يوسف وغليسي، سيميائية الأوراس في القصيدة العربية المعاصرة، الملتقى الدولي الخامس "السيمياء والنص الأدبي" 15-17 نوفمبر 2008م، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

المقالات

- المختار حسني، نظرية التناص، مجلة علامات في النقد، المغرب، مج 9، ج 34 ،1999م.